

## العداوة بين الانسان و الشيطان

« وأضع عداوة بينك وبين المرأة وبين نسلك ونسلها. هو يسحق رأسك وأنت تسحقين عقبه » ( تكوين ٣: ١٥ ). ان حكم الله الصادر ضد الشيطان بعد سقوط الانسان كان ايضا نبوة تمتد عبر كل الاجيال الى انقضاء الدهر وترمز الى الصراع العظيم الذي ستشتبك فيه كل اجناس البشر التي ستعيش على الارض.

يصرّح الله قائلا : « وأضع عداوة ». هذه العداوة لا يرحب بها الناس عادة. فعندما تعدى الانسان على شريعة الله صارت طبيعته شريرة. ولم يعد هنالك نفور أو خلاف بينه وبين الشيطان بل ساد بينهما الوفاق والوئام. وفي العادة لا يوجد أي عداة بين الانسان الخاطئ ومبتدع الخطيئة. فلقد صار كل منهما شريرا بسبب الارتداد. والمرتب لا يجد ابدا راحة الا اذا حصل على العطف والمعاضدة باغواء الآخرين على التمثل به. ولهذا السبب يتحد الملائكة الساقطون والناس الاشرار في زمالة مستيئسة. ولو لم يتدخل الله على نحو خاص لكان الشيطان قد تحالف مع الانسان لمحاربة السماء ولكانت الاسرة البشرية كلها تُجمع على مقاومة الله بدلا من أن تُضمر العداة للشيطان.

جرب الشيطان الانسان لكي يخطئ كما سبق له أن جعل الملائكة يتمرّدون حتى يظفر بالتعاون في محاربتة السماء. ولم يقم خلاف بينه

وبين الملائكة الساقطين في ما يختص بكراهيتهم للمسيح، ففي حين أنه كان يوجد شقاق في كل الامور الاخرى اتحدوا اتحادا وثيقا في مقاومة الشيطان حاكم الكون. ولكن عندما سمع الشيطان بأنه ستكون هنالك عداوة بينه وبين المرأة وبين نسله ونسلها علم أن مساعيه لافساد الطبيعة البشرية ستتوقف، وانه بوسيلة ما سيكون الانسان قادرا على مقاومة سلطانه.

وقد اضطربت نار العداة في قلب الشيطان ضد الجنس البشري لانهم بواسطة المسيح صاروا موضوع محبة الله ورحمته. انه يرغب في عرقلة تدبير الله لاجل فداء الانسان والقاء العار والهوان على الله بكونه يشوه وينجس عمل يديه، وكان يريد أن يسبب الحزن لسكان السماء وان يملأ الارض شقاءً وخراباً. وهو يشير الى هذا كله كنتيجة عمل الله في خلقه الانسان.

ان النعمة التي يغرسها المسيح في النفس هي التي تخلق في الانسان عداوة ضد الشيطان. وبدون هذه النعمة المجددة والقوة المغيرة يرغب الانسان في أن يظل أسيرا للشيطان وعبدا له على استعداد دائم لتنفيذ أوامره. ولكن المبدأ الجديد الذي خُلق في النفس يخلق صراعا في الميادين التي كان فيها سلام من قبل. والقوة التي يمنحها المسيح تعين الانسان على مقاومة الطاغية المغتصب. فأى انسان يرى أنه يبغض الخطيئة بدلا من أن يحبها، وأي من يقاوم ويغلب تلك الاهواء التي قد تسلطت على قلبه يُظهر عملية المبدأ الذي هو من فوق اولا وآخرأ.

## غضب الشيطان

ظهر العداة المستحكم بين روح المسيح وروح الشيطان بشكل مدهش جدا في استقبال العالم يسوع. فما دعا اليهود الى رفض المسيح لم يكن ما بدا عليه من الافتقار الى غنى العالم والفخامة والجلال. لقد رأوا أنه يملك سلطانا هو أكثر من أن يعوض عن افتقاره الى تلك

الميزات الظاهرية. لكنّ طهارة المسيح وقداسته أثارتا عليه عداوة الاشرار. فحياة انكار الذات التي عاشها وتكريسه المنزه عن كل خطيئة كانا تويخا دائما للشعب الشهبواني المتكبر. هذا ما أثار العداة ضد ابن الله. لقد تحالف ضده الشيطان والملائكة الاشرار مع الناس الاشرار. تأمرت كل قوى الارتداد ضد بطل الحق.

هذا العداة نفسه الذي ظهر ضد المسيح يظهر ضد تابعيه، فأى انسان يرى الخطيئة في شناعتها، وبالقوة التي تأتيه من فوق يقاوم التجربة، يثير على نفسه غضب الشيطان ورعاياه. ان كراهية الناس لمبادئ الحق الطاهرة، والتعبير والاضطهاد اللذين يحلان بمناصريه، ستظل باقية طالما بقيت الخطيئة والخطأة. وتابعو المسيح لا يمكن التوفيق بينهم وبين عبيد الشيطان. فعثرة الصليب لم تبطل بعد. « جميع الذين يريدون أن يعيشوا بالتقوى في المسيح يسوع يُضطهدون » ( ٢ تيموثاوس ٣: ١٢ ).

ان أعوان الشيطان هم دائبون ابدأ تحت توجيهاته في توطيد سيادته وبناء ملكوته لمقاومة حكم الله. ولهذه الغاية يحاولون اغراء أتباع المسيح واغواءهم حتى يبعدهم عن ولائهم له. وهم كزعيمهم يسيئون فهم الكتب المقدسة ويحرفونها للوصول الى أهدافهم. وكما حاول الشيطان أن يوقع العار بالمسيح كذلك يحاول أعوانه أن يعيبوا في حق شعب الله. ان الروح التي أماتت المسيح تحرض الاشرار على اهلاك تلاميذه. كل هذا كان مرموزا اليه في النبوة الاولى القائلة : « وأضع عداوة بينك وبين المرأة وبين نسلك ونسلها ». وستظل الحال كذلك الى انقضاء الدهر.

يحشد الشيطان كل جيوشه ويلقي بكل قوته في المعركة. ولكن لماذا لا يواجه مقاومة أعظم؟ ولماذا يتغلب النعاس وعدم المبالاة على جنود المسيح؟ السبب هو أن صلتهم الحقيقية بالمسيح ضئيلة جدا، كما انهم خالون من روحه الى حد كبير. والخطيئة في نظرهم ليست منفرة ولا كريمة كما كانت في نظر سيدهم. وهم لا يواجهونها كما قد فعل المسيح بكل مقاومة وإصرار. وهم غير متحققين من شر الخطيئة

وشناعتها العظيمين ولا يرون صفات سلطان الظلمة ولا قوته. ان عداوة المسيحيين للشيطان وأعماله ضئيلة وذلك بسبب جهلهم العظيم لقوته وخبثه وبسبب اتساع مدى حربه ضد المسيح وكنيسته. ان كثيرين يندفعون هنا. انهم لا يدرون ان عدوهم قائد عظيم وجبار يسيطر على عقول الملائكة الاشرار وأنه بخططه الناضجة المدروسة وتحركاته الماكرة يحارب المسيح ليمنعه من تخليص النفوس. فبين المعترفين بالمسيحية وحتى بين خدام الانجيل قلما يشير أحد الى الشيطان الا في عبارات عابرة من المنبر، فهم يغفلون البراهين على نشاطه الدائم ونجاحه، ويهملون الانذارات العديدة عن مكره ودهائه، ويبدو أنهم يتجاهلون وجوده نفسه.

## عدو يقظ

وفي حين أن الناس يتجاهلون مكايد هذا العدو اليقظ فانه يتعقبهم في كل لحظة. يقحم وجوده في كل مصالح العائلة وفي كل شوارع مدننا وفي الكنائس وفي مجالس الامم وفي دور القضاء فيريك ويخدع ويموّه. وفي كل مكان يهلك ارواح الرجال والنساء والاطفال وأجسادهم وبشتت شمل العائلات ويذر بذار البغضاء والتنافس والمنازعات والفتن وجرائم القتل. ويبدو أن المسيحيين في أرجاء العالم يعتبرون أن الله هو الذي قد حكم بكل هذه المآسي ولا بد من حدوثها.

يحاول الشيطان دائما أن ينتصر على شعب الله بهدمه الجواجز التي تفصل بينهم وبين العالم. لقد أغوي اسرائيل قديما لارتكاب الخطيئة عندما تجرأوا على الاندماج بين عشراء وثنيين كان الله قد حرم عليهم الاختلاط بهم. وبالطريقة نفسها يضل اسرائيل العصر الحاضر : « اله هذا الدهر قد أعمى أذهان غير المؤمنين لئلا تضيء لهم انارة انجيل مجد المسيح الذي هو صورة الله » ( ٢ كورنثوس ٤ : ٤ ) . كل من ليسوا اتباعا أمناء للمسيح هم عبيد

للشيطان. ففي القلب غير المتجدد توجد محبة للخطيئة والميل الى احتضانها والتساهل معها. أما في القلب المتجدد فتوجد كراهية للخطيئة ومقاومتها بكل اصرار. فعندما يختار المسيحيون معايشة الاشرار وغير المؤمنين فهم يعرضون أنفسهم للتجربة. والشيطان يتخفّى بعيدا من الانظار ويسدل ستارا على عيون الناس خلسة. ولا يمكنهم أن يروا أن في صحبة اولئك الاشرار ضررا، واذ يشاكلون العالم طول الوقت في اخلاقهم واقوالهم وأفعالهم انما يزيد عما هم شدة يوما بعد يوم.

ان مشاكلة العالم في عاداته تجعل الكنيسة شبيهة بالعالم ولا تهدي العالم الى الكنيسة. وتعود الخطيئة والتآلف معها لا بد أن يقللا من النفور منها وكراهيتها. فمن يختار معايشة عبيد الشيطان لن يخاف سيدهم. واذ كنا ونحن نقوم بواجباتنا نجرب كما قد جرب دانيال وهو في بلاط الملك فلنا أن نتحقق من أن الله سيحرسنا، أما اذا ألقينا بأنفسنا في التجربة فسنسقط عاجلا أو آجلا.

يعمل المجرب غالبا بنجاح منقطع النظير عبر الذين قلما يُشتبه في أنهم تحت سيطرته. فذوو المواهب والثقافة يعجب بهم الناس ويكرمونهم، كما لو أن هذه الصفات تكفر عن عدم وجود خوف الله في قلوبهم أو تؤهلهم للظفر برضاه. ان المواهب والثقافة في حد ذاتها هي هبات من الله، ولكن اذا احتلت هذه الامور مكان التقوى وبدلا من أن تقرب النفس الى الله تبعدنا منه فانها تمسي حينئذ لعنة وشركا. هنالك رأي سائد بين كثيرين وهو أن كل ما يبدو لطفا أو كياسة أو أناة لا بد أن يكون نوعا ما خاصا بالمسيح. لا توجد غلطة أضخم من هذه. فهذه الصفات ينبغي أن تجمل بالخلق كل مسيحي لان لها تأثيرا كبيرا في صالح الدين الحقيقي ولكن ينبغي تكريسها لله والا فهي ايضا تصير قوة في جانب الشر. كثيرا ما يكون هنالك انسان مهذب في عقله وممتاز في عاداته ولا يتدنى ليعمل ما يعتبره الجميع عملا نجسا وفاسدا، ومع ذلك فهو آلة مصقولة في يد الشيطان.

ان الصفة الغادرة الغاشة لتأثيره ومثاله تجعله عدوا لعمل المسيح وملكوته اخطر من الجهلة وغير المثقفين.

استطاع سليمان بالصلاة الحارة والاعتماد على الله أن يحصل على الحكمة التي أثارت دهشة العالم وإعجابه. ولكن عندما ارتد عن مصدر قوته وتقدم مستندا الى نفسه سقط فريسة التجربة. وحينئذ فتلك المواهب العجيبة التي منحت لذاك الذي كان أحكم الملوك جعلت منه اداة أشد فتكا في يد عدو النفوس.

في حين يحاول الشيطان بلا انقطاع أن يُظلم عقول المسيحيين حتى تغيب عنهم الحقيقة عليهم ألا ينسوا أن « مصارعتهم ليست مع دم ولحم بل مع الرؤساء مع السلاطين مع ولاة العالم على ظلمة هذا الدهر مع اجناد الشر الروحية في السماويات » ( أفسس ٦: ١٢ ). فان الانذار الالهي يدوي عبر الاجيال الى يومنا هذا قائلا : « اصحوا واسهروا لان ابليس خصمكم أسد زائر يجول ملتمسا من يبتلعه هو » ( ١ بطرس ٥: ٨ ) . « البسوا سلاح الله الكامل لكي تقدرُوا أن تثبتوا ضد مكاييد ابليس » ( أفسس ٦: ١١ ).

فمنذ عهد آدم الى يومنا الحاضر يبذل عدونا العظيم الجبار قسارى جهده ليضايق ويظلم ويهلك. وهو الآن يتأهب للقيام بحملته الاخيرة ضد الكنيسة. وكل من يريدون اتباع يسوع لا بد لهم من منازلة هذا العدو الذي لا يرحم. وكلما كان المسيحي أقرب تمثلا بالمثال الالهي ازداد تأكدا انه سيصير هدفا لهجمات الشيطان. وكل من هم دائبون باجتهاد في عمل الله ويحاولون أن يكشفوا مخادعات الشرير ويقدموا المسيح الى الناس سيكونون قادرين على مشاركة بولس شهادته التي يقول فيها أنه يخدم الرب بكل تواضع ودموع كثيرة وتجارب.

لقد هاجم الشيطان المسيح بأعنف تجاربه وأشدّها مكرًا وخبثًا لكنه انهزم وارتد بعد كل معركة. ولقد حارب السيد في تلك المعارك لاجلنا، وانتصاراته تجعل

انتصارنا أمرا ممكنا. والمسيح سيمنح القوة لكل طالبيها. ولن ينهزم أحد أمام الشيطان ما لم يرض هو بالهزيمة. فليس للمجربّ قوة بها يسيطر على الإرادة أو يرغم النفس على ارتكاب الخطيئة. قد يضايق النفس لكنه لا يستطيع أن يلوثها. وقد يسبب للقلب حزنا لكنه لا يستطيع أن يفسده قسرا. ان حقيقة كون المسيح قد انتصر ينبغي أن تلهم اتباعه الشجاعة لكي يحاربوا بكل قوة وشدة بأس وهم ينازلون الخطيئة والشيطان.